الشيخ المضوى عبد الرحمن

أحمد عثمان محمد ابراهيم

فى مستهل هـذا البحث المتواضع لابد أن أتقدم بوافر الشـكر للسيد أحمد المضوى عبد الرحمن على ما قدم لى من عون بعضه وثائق تخص السيد والده وآخر روايات شفهيـة جمعها من ذوى القـربى والصلة بالشيخ الجليل رحمه الله.

وحرى بالاشارة أن الوثائق التى بين أيدينا اليوم ليست كافية لتدوين تاريخ الشيخ المضوى عبدالرحمن. بعضها اشارات فى الكتب لعل أهمها ما كتب نعوم شقير وآخر موزع بـين دار الـوثائق المـركزية بالخرطوم ومجموعة السيد أحمد المضوى المحفوظة لدبه الآن .

والشيخ المضوى هو ابن عبدالرحمن بن مضوى بن بركات بن مضوى بن بركات بن أحمـد بن الشيخ ادريس بن الشيخ محمـد الارباب(١) بن على بن قرين بن قنديل بن فلاح وينتهى نسبـه فى مرة بن كعب جد النبى صلى الله عليه وسلم(٢) .

ولد الشيخ المضوى سنة ١٨٥٢م ولما شب عن الطوق لاذ بمسجد الشيخ ادريس ود الارباب بالعيلفون حتى حفظ القـرآن ولما يتخط الحادية عشر من عمره (١٨٦٣م) ،ثم طلب العلم (الفقه) على الشريف محمود الشنقيطى بقرية ودالماجدى، شمال أبوعشر الحالية ، وبعد أن نال الاجازة فى المختصر (مختصر خليـل) وبعض الـكتب الفقهيـة

---

١ ـ الشيخ ادريس بن محمـد الارباب ، الذى اشتهرت به العيلفون ، وهو من الاولياء الصالحين الذين كتب عنهم ود ضيف الله . انظر : كتاب الطبقات : محمـد النور ابن ضيف الله (تأليف) دكتور يوسف فضل حسن (تحقيق وتعليق وتقـديم) ، طبعة أولى ، جامعة الخرطوم ١٩٧١م : ص ٤٩ .

٢ ـ عن نسب مخطوط لدى السيد أحمد المضـوى .

الاخرى هاجر الى الرهد بكردفان، وهناك أتيح له أن يجوّد القرآن على الشريف محمد الامين والد الشريف يوسف الهندى • وفى سنة ١٨٧١م هاجر الشيخ الى مصر ، قبلة العلماء وطلاب المعرفة فى العالم الاسلامى اذ ذاك ، ومكث ثمانية أعوام فى طلب العلم • ثم رجع الى السودان فى سنة ١٨٧٩م، وقبل أن يستقر سافر الى جنوب السودان والتقى بالزبير باشا رحمة بحر الغزال ومن هناك اشترى بعض الرقيق وعاد بهم الى الخرطوم(١) ، ربما كان بغرض الاتجار أو التملك ، واننا لا نعلم أنه امتهن التجارة فى فترة من فترات حياته • ثم ذهب الشيخ الى مسقط رأسه بالعيلفون الا أنه ما استقر بها طويلا اذ أخذ أسرته ليستقر فى أبوتيقة على الشاطىء الشرقى للنيل الازرق جنوب كركوج وهناك أقام حلقة للدرس واشتغل بالزراعة(٢) ولكنه لم يلبث طويلا حتى ظهر أمر المهدى وانتشرت دعوته فى أرجاء البلاد وكانت الجزيرة حقلا هاما من حقول النشاط المهدوى (٣) وقد شغلت أحداث المهدية الفقهاء على وجه الخصوص، أعنى من الناحية الجدلية والموقف الشرعى ازاءها (٤) •

رأى المضوى أن يهاجر الى قدير فى جبال النوبة ليلتقى بالمهدى هناك ويطلع على أمره ليحدد رأيا فى ذلك ويستيقن من حقيقة مايروى عنه • « فلما التقى بالمهدى وأقام عنده وعرف حاله أصبح فى شك وحيرة من أمره ، فهو يرى رجلا يدافع عن عقيدة الاسلام ببذل المهجة والمال فى سبيلها وفى الوقت ذاته يخالف الاسلام فى جوانب أساسية أخذ المضوى على المهدى أنه يكفّر جميع الذين لا يؤمنون به وبالمهدية، علما بأن الايمان بالمهدية عموما أو بمهدية محمد أحمد على وجه الخصوص، ليس بين أركان الاسلام التى يعرفها العلماء • وأخذ على

---

١ ــ عن السيد أحمد المضوى .

٢ ــ نفسه .

٣ ــ أحمد عثمان محمد ابراهيم : الجزيرة فى خلال المهدية (رسالة الماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم) ، ١٩٧١م ، ص ٧٩ ــ ١٠٤ .

٤ ــ نفسه ص ١٩٨ ــ ٢٢٥ .

المهدى أنه كان يحابى أهله فى الغنائم ، ولا يقيم عليهم الحدود ، ولم يكن المضوى يعتقد أن بالمهـدى محمد أحمد علامة واحدة من علامات المهدى المنتظر » (١) .

هذا وتجدر الاشارة الى أن المضوى عبد الرحمن لم يكن حتى هذا الطور بين طائفة العلماء المستوظفين لـدى الحكومة ولعل هـذا يقوى موقفه الفكرى المجرد فى معارضة المهدية .

وبعد أن عاد المضوى من قدير قعد وتثاقـل عن الجهـاد رغم أنه أظهر للمهدى الاعتقاد التام بمهديته، مخافة شره ، حتى وثق به المهدى وجعله عاملا (٢) على جزيرة سـنار وأصحبه أميرين من أمراء الجـزيرة ليساعداه على الجهـاد همـا ودالصليحـابى ، وكان من المعتقـد ببركتهم عند أعراب رفاعة الهوى ، وود برجوب الذى كان من فقهاء اللحويين .

وفى الطريق ، وهم عائدون من قدير الى الجزيرة ، عرف صاحبا المضوى أنه لا يؤمن بالمهدية ايمانا راسخا فازمعا قتله ولكنه اكتشف ما انطويا عليه فخادعهما حتى أقنعهما بأنه من المؤمنين الثابتين ، والدعاة الحادبين على أمر الدعوة ، وسـارثلاثتهم حتى بلغوا الجبلين ، عـلى النيل الابيض ، وهنـاك استأذن المضوى صاحبيه فى أن يذهب الى كركوج يأخذ أهله ويعود بهم الى الجبلين فأذنا له فذهب الى كركوج وأخـذ أهله وذهب الى العيلفـون مرة أخرى (٣) . وقد عرف المهدى أن المضوى قد انتكس فتوعـده بالهلاك (٤) .

---

١ ـ نعوم شقير : جغرافية السودان وتاريخه ، بيروت ١٩٦٧م ، ص ٦٧٧ ـ ٦٧٨ .
أيضا : أحمد عثمان محمد ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٨٥ .

٢ ـ لفظ « عامل » هنا لا تشير الى العمالة الادارية وانما تعنى اعتبارا أدبيا ، كما يفهم من السياق اذ كان عامل الجزيرة فى هذا الوقت والمفوض فى جميع أمورها الشيخ محمد الطيب البصير .
انظر : أحمد عثمان محمد ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .
أيضا : Holt, P. M. : *The Mahdist state in the Sudan*, Oxford 1963, P. 59.

٣ ـ نعوم شقير : المرجع السابق ، ص ٦٧٨

٤ ـ أبوسليم ، دكتور محمد ابراهيم أحمد : المرشد الى وثائق المهدى ، دار الوثائق الخرطوم ١٩٦٩ ، وثيقة رقم ١٦٠ ، ص ٨١ .

ويروى أن الشيخ المضوى بعد أن وصل العيلفون اتصل بالشيخ العبيد ود بدر بأم‌ضبان‌واختلى به وأبلغه رأيه فى المهدى وكان تلاميذ الشيخ العبيد حتى‌هذا الحين يتلهفون الى سماع رأى صريح من شيخهم فى المهدية ، فلماعلموا أن المضوى عاد من قدير واتصل بالشيخ العبيد هرعوا الى شيخهم يتساءلون فأحسن التخلص منهم بقوله « كان مهدى جيد لينا‌وكان ما مهدى شن لينا » (١) • كذلك اتصل الشيخ المضوى بعبدالقادر باشا حلمى (٢) ونقل اليه رأيه فى المهدى • وكما يفهم من رواية شقير أن الاتصال كان من قبل الحكمدار ، لم يسع اليه المضوى(٣) • لذلك فحقيقة اتصاله بحلمى لا تضعف رأينا فى أنه انما سافرللمهدى للتعرف والوقوف على حقيقة أمره •

ولما فتح المهدى الأبيض واتجه‌نحو الخرطوم رأى المضوى ، كما رأى غيره من الفقهاء ، أن السلبية‌لن تنجيهم من سخط المهدى فانضم الى قيادة أتباع الشيخ العبيد ، وشارك فى حصار الخرطوم مرغما (٤) كما أنه اشترك فى حصار سنار مع محمد عبد الكريم سنة ١٨٨٥ م (٥) • ولكنه ظل كاظماغيظه مبطنا كفرانه بالنظام المهدوى وكرهه له حتى اشترك فى مؤامرة مع رؤساء بعض القبائل للتمرد والقضاء على الخليفة عبد الله ولماكشف أمره استطاع أن يحتال على الخليفة وينجو بنفسه (٦) •

---

١ ـ عن أحمد المضوى .

٢ ـ عبد القادر باشا حلمى كان حكمدار السودان بين ١١ مايو ١٨٨٢ حتى فبراير ١٨٨٣ وكان منوطا به القضاء على حركةالمهدى وبالفعل بذل كثيرا من الجهد فى ذلك وسافر الى مصر قبل أن يكمل مهمته.
أنظر : Holt, P. M. : op. cit., pp. 49, 61.
أيضا : أحمد عثمان محمد ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٤٩ ، ٧٩ وما بعدها .

٣ ـ نعوم شقير : المرجع السابق ، ص ٦٧٨

٤ ـ نفسه .

٥ ـ أحمد عثمان محمد ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٩٨ .

٦ ـ عن أحمد المضوى .
أيضا أنظر : Holt, P. M. : op. cit., p. 151.

يروى أن النـور الجريفاوى أمين بيت المال كان صديقا للمضوى وهو الذى نقل اليه أن الخليفة قدكشف أمره ونصحه بالهـرب • وفى صبيحة اليوم التالى ذهب المضوىالى الخليفـة يستأذنه الذهاب الى العيلفون لمدة ثلاثة أيام يعود بعدها الى أمدرمان فسمح له الخليفـة تمهيدا له ليواصـل ما شرع حتى يفتـك به • فذهب المضـوى الى العيلفون ومن هناك اصطحب تلميذاله يدعى بابكر ودمالك واتجه الى البشاقرة شرق وانتظر خارج القريةحتى ذهب تلميـذه وأحضر الشيخ الحبر عم المضوى عبدالرحمن فقصعليه المضوى ما حدث وأعلمـه أنه خـارج من السودان فودعه عمـهوانصرف • وسار المضوى وصاحبه حتى وصلا القضارف حيث استعانالمضوى بالشيخمحمد أحمد أبوسن الذى أعطاه دليلا أخذه الى مناطقالحمرانداخل الحدود الحبشية فأقام بين الحمرانحينا وتزوج منهم ولكنهما لبث أن فر من الحبشة مخافة أن يلحق به بطش الخليفة هناك • فقدساءت العـلاقة بين عامل المهـدية محمـد ودأرباب والأحبـاش اثر الهجوم الذى قام به راس عدار على منطقة القلابات والقضارف فى يناير١٨٨٧م فقتلمحمد ودأرباب وأعقبته حملة تأديبية بقيادة يونس الدكيم فى آخر يناير من نفس العام • ومن هناك سـافر المضـوى الى أرض الحجـاز فبيت المقـدس فمصر • فأكرمت الحـكومة المصرية وفادتهوأجرت له راتبا شهريا استعان به على الدرس والتحصيل فى الازهـرالشريف حتى نال العالمية من الازهر فى سنة ١٣١٣ هـ/١٨٩٦ م (١) •

ولما استولت قـوات كتشنر على دنقـلا فى سنة ١٨٩٦م وجـد الشيخ المضوى مجالا جديدا لهدمكيان الوضع المهدوى فى السودان فانضم الى مخابرات الجيش المصرى ، فعين قاضيا بكورتى التىكانت تمثل ثغرا هاما بين مديرية دنقـلاالساقطة فى أيدى القـوات المصرية الانجليزية وبين دولة المهدية • ويوضـح ذلك كتـاب له من رودلف

---

١ ـ عن أحمد المضوى .
أيضا : إنظر شهادته الازهرية المحفوظةلدى ابنه أحمد (تجد ملحقا بنصها فى نهـاية هذا المقـال) .

سلاطين مساعد مدير المخابرات جاءفيه :

« وادى حلفا ٨ فبراير ٩٨

فضيلتلو حضرة الاستاذ مضوى عبد الرحمن دام بخير

بعد اهداكم مزيد السلام نعرفكم ان كلا جوابيكم لنا ولحضرة ونجت بك وصلا • أما من جهـة بقاكم فى الوقت الحاضر بمديريـة دنقلا فليس الا بصفـة وقتية لحين تقـدمنا الى الأمـام فعنـد ذلك نستدعى حضرتكم للانضمام علينا كالوعد السابق ، لاننا نعلم حقيقة العلم ما يمكنكم ابداه من الخدامات الجليلة ••• ولاشك ان وجود حضرتكم بكورتى سيعود على قلم المخابرات بفائدة جليلة نظرا لما لكم من الاختبار فى أحوال السودان فى الماضى والحاضر ومعرفتكم حقيقية الواردين الى كورتى حاضرا •••• » (١) •

ولم يطل التعاون بينه وبين الحكومة الجديدة فبعد أن تم للغزاة الاستيلاء على السودان قلبوا له ظهر المجن • وتفصيل الاسباب غامض ومجهول لدينا ولكن السيد أحمد المضوى يروى لنا أن أباه استقال من عمل القضاء ونفى الى الناصر بجنوب السودان لمدة ثلاثة أشهـر ثم عـاد الى العيلفون حيث أقـام حلقة لتدريس العـلوم الاسـلامية فالتف حوله عدد كبير من التلاميذ ونعل ذلك أزعج الحكومة الجديدة لاسيما وان الشيخ ضالع فى مجـال العمل السياسى فأمرته بالاقامة فى أم درمان وهيأت له بيتا كان شـغله الشاغل فيه تبادل المعرفة مع زملائه من العلمـاء وتـدريس من يحضر مجلسه من طلاب العلم وظل كذلك حتى توفى فى يونيه سنة ١٩٠٤م ودفن بجـوار جـده الشيخ ادريس ودالارباب بالعيلفون •

كان الشيخ المضوى من أعظم علماء عصره كما توضح شهـادته الازهرية وقـد وصفه شـقير بأنه « من تلامذة الازهر النابغين » (٢)

---

١ ـ الخطاب محفوظ لـدى السيد أحمـد المضـوى .
٢ ـ نعوم شقير : المرجع السابق ، ص ٦٧٧

وكان محبا لنشر العلم بين النـاس ويروى عنه أنه قال : لو كتب الله له أن يستقر بالعيلفون ليجعلن أمة العيلفون تفتى فى الفقه (١) •

لم يشتهر المضوى بأنه شيخ لطريقـة من الطرق الصـوفية ولم يعرف له ارتباط باحدى هذه الطرق ولكن يقال أنه كان شـاذليا رغم صلته الوثيقة بالشيخ العبيد ود بدر القـادرى (٢) • ولعله كان ينـكر أشياء على أهـل الطرق فالروايات المحلية تحدثنا مثلا أنه دخل حلقـة الذكر عنـد الشيخ العبيد وكانت نوبة القادرية ترسل أنغاما شجيـة يوقع عليها المادحون قصائدهم و«الدراويش» يرقصـون طربا وكان بينهم أحـد تلامـذة الشيخ يدعى مبيوع • كان مبيوع يرقص بشعره المضفر رقصـا اشمأز منه الشيخ المضوى ولعله اعتبر ذلك شيئا أقرب الى أعمال النساء • انصرف المضوى ونام تلك الليلة فرأى النبى صـلى الله عليه وسلم فى المنام ، ولما هم بتقبيل يد الرسـول الكريم (ص) لم يفز بذلك وخبره الرسول (ص) أنه لن ينـال ذلك حـتى يـرضى مبيوع (٣) •

ان أمثال هـذه القصص التى تنتصر لأهل الباطن من علماء السنة الظـاهرة كثيرة فى زمان الشـيخ المضوى وقبله ولقد دون كثيرا منها صاحب الطبقات ولعل أشهرها قصة الشيخ الهميم والقاضى دشين (٤) • وعليه فان صحت قصتنا أو لم تصح بجميع تفاصيلها أو بعضها فان أقل ما تدل عليه أن الشيخ المضوى كان من العلماء السنيين الذين لا يشتغلون بأمور المتصوفة كثيرا وانما يحكمون ظاهر الشريعة •

---

١ ـ عن أحمد المضوى .
٢ ـ نفسـه .
٣ ـ نفسـه .
٤ ـ كتاب الطبقات :: المرجـع السابق ،ص ٢١٢ .

وخلاصة القول فى شيخنا أنه كان عالما صاحب فكرة دافع عنها وهاجر من أجلها وكان ذا أثر واضح بين أهل عصره حتى نال اهتمام الدولة المهدوية والحكومة فى مصر وحكومة السودان التى أعقبت المهدية ، وسواء أكان ذلك الاهتمام له أم عليه فانه يثبت أن الشيخ المضوى كان شخصية لا يمكن تجاهلها فى المجتمع .

ملحـــق

اجازة الشيخ مضوى الأزهرية

« العلامة المحقق والفهامة المدقق الشيخ مضوى بن عبد الرحمن ابن مضوى بركات المالكى من قريةالعيلفون بالخرطوم • ومن فضائله عرض علينا شهادة من حضرة شيخالجامع الأزهر قـدوة الاعلام بأن صار امتحانكم بمجلس مشكل منحضرة العلماء الأفاضـل والسـادة ذوى الفضائل الشيخ السيد على السلاوى والشيخ أحمـد الرفاعى المالكيين والشيخ سـليمان العبـد والشيخ محمـد حسين الايريرى الشافعيين والشيخ عمـر الرافعى والشيخ بكرى عاشور الحنفيين • وأحسن الشهادة لكم فى الاحـدىعشر علم المعنية من حضرة المومى اليهم وأقروا باستحقاقكم للدرجـةالاولى بين العلمـاء على ما تحقق لديهم وكان ذلك مما يسر الخواطرويقر النـواظر ويدعـو الى حسن الالتفات لكل من تحلى بتلك الصفات فشكرنا لكم هذا التقدم الجليل وقابلنا بالثناء الجميل حيث كان منأجل النعم المهمة للاسـلام الوطن وصلاحه للامـة نشر أنوار أنواعالعلوم اذ بها تستنير الافكار •••• لاسيما علم الشريعة المقدسة الطاهرةالذى هو عنوان السعادة فى الدنيا والآخـرة اذ به تعظيم العبـادات وتنظيم المعاملات ومن المعـلوم أن المواظبة على التـدريس والافـادةيوجب للعـلم البركة والزيادة مـع النعفة والورع يزداد بها قوة وبكمالتهـذيب النفس وشرف الاخـلاق يشرق ضياؤه • واما ثبت لحضرتكمالسبق فى هـذا المضمار وسلـكتم سبيلالمحامد لكسب الفخار أصدرناهذا المرسـوم لفضيلتكم معلنـا بالدرجة الاولى لتديموا شكر المنعمفـله الحمـد فى الآخـرة والاولى تحريرا فى اليوم السابع عشر من شهر ربيع الآخـر لسنة ثلاثة عشر وثلثمـائة •

(ختم)
عبـاس حلمى